جدل العلاقة بين الرمل والماء في الشعر السعودي المعاصر
محمد الثبيتي أنموذجًا

الباحثة: هاجر عامر حمود العمري

جامعة الملك خالد

Haleumri@kku.edu.sa

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى كشف العلاقة بين الرمل والماء في الشعر السعودي بشكل عام وشعر الثبيتي بشكل خاص، حيث قامت الدراسة بتحليل ثيمتي الرمل والماء في قصائده، وخلصت الباحثة إلى أن الشاعر نجح في تشكيل رؤيته الخاصة للعلاقة بين الرمل والماء مفارقاً في أغلب الأحوال نمطية العلاقة المألوفة بينهما، وكاسراً أفق التوقع ليكشف عن ثقافة خاصة وإحساس مختلف بهما، وابتكر الثبيتي رموزاً لغوية صافية تحمل قدراً عالياً من الجمال حيث تحمل القارئ إلى حلمه ومغامرته بتأسيس لغته الشعرية المتفردة عن غيره، ولغة الثبيتي برموزها وأساطيرها ومدلولاتها، ومغامرتها أيضًا تسهم في اكتشاف أفق جديد واسع للقصيدة السعودية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الشعر السعودي، جدل العلاقة، الرمل والماء، محمد الثبيتي

The Concomitant Relationship between Sand and Water in the Modern Saudi Poetry
A Case Study (Mohamed Al-Thubiti)

Abstract

The study aims to reveal the relationship between sand and water in the Saudi poetry in general and for specific, Mohamed Al-Thubiti's poetry. Therefore, the study analyses the themes of both sand and water in his poems. The researcher results that, the poet has succeeded in viewing a framework of his own about the relationship between sand and water. In most cases, the researcher deviates their familiar relationship style. He deviates the expected style and reveals a special relationship and different sense about them. Al-Thubiti has created pure linguistic

ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

symbols that have an extreme aesthetic worth. Where it takes the reader to his/her dream and adventure of establishing his/her unique poetry language. In addition, Al-Thubiti's language, with its symbols, myths ،meanings, and adventures, contributes to reveal a wide new range of the modern Saudi poem .

Keywords: Saudi poetry. The concomitant relationship. Sand and water. Mohamed Al-Thubiti.

مقدمة:

تشكل الصحراء معظم الملامح الجغرافية لأرض المملكة العربية السعودية المترامية الأطراف، وما كان للشاعر السعودي أن يتجاوز ملامحها الماثلة أمامه، فتركت أثرًا نفسيًا في وجدانه، انعكست في بعض شعره أو جلّه، ولم يقتصر التأثير على الشعراء فحسب، ولكنه امتزج بإحساس كل مثقف، بل ربما كل ساكن فيها أو عابر بها.

وقد ظهر أثر هذه البيئة الصحراوية في نماذج متعددة من الشعر السعودي المعاصر، وكان الرمل والماء عنصرين حاضرين في وجدان الشعراء وأذهانهم، كلٌّ يعبر عن إحساسه بهما ورؤيته لهما في إطار عالمه الشعري وتكوينه الثقافي والنفسي الخاص به، فالشعر في حقيقته "هو نتاج الفكر الحسي الإنساني، ولابد للبيئة أن تترك أثرها على نفس الفنان وعلى مادة فنه، وهي اللغة بكل ما ينتج عنها من ألفاظ ومعان وتراكيب وصور وأساليب تعبير مختلفة تعطي العمل الفني الإبداعي سمة وهوية خاصة مميزة له عن غيره، كما أن الفن بعامة والشعر بخاصة عبارة عن ظاهرة جمالية تنتج عن انفعال الإنسان بالبيئة الطبيعية وبالوجود من حوله".[1]

والرمل والماء بأشكالهما المتعددة وتحولاتهما لهما حضورٌ واضح في القصيدة السعودية المعاصرة، من الناحية الفنية واللغوية والأسلوبية حتى طال ذلك بنية القصيدة بصورة عامة، ثم إن بيئة الجزيرة العربية فرضت حضور الرمل والماء في قصائد شعرائها حيث أثرت في تشكيل تجربتهم الشعرية إذ إن حضورهما الواسع يعد سمة بارزة في القصيدة السعودية يتجلى من خلالها ارتباط الهوية بالمكان والزمان.

[1] أثر البيئة الطبيعة في الشعر عند النقاد العرب: 137

ومن ذلك قول الشاعر إبراهيم العلاف[1] :

وكفكفت السماء دموع حزنٍ...على غبراء تهفو للغدير

ولاحت زرقةٌ وصفا أصيلٌ...هداياه النسائم كالحرير

وقول الشاعر حسين العروي:[2]

مطر القصيدة: نشوةٌ قصوى.. شفتاك... فاغسل هذه الشكوى.. إن الصحاري عمق حنجرتي... ظمأٌ شقي مزّق التقوى..صوتي تقطع... والهوى لغةٌ... مبتورةٌ.. وهزائمي تُروى)

وكذلك قول الشاعر ابن بليهد[3]:

هممت بإزعاج المطي ودونه...من الأرض غيطان وبيداء سبسب

ومخترقٍ عافٍ تقلبه الصبا...وفيه عساقيل الفضا تتقلب

"ولعل الشفرة التي يتمحور حولها هذا النص هي الصراع بين الإنسان والصحراء، وقد حَد هذا الصراع من عزم الشاعر على الرحيل، ولهذا تصدر النص الفعلُ المشتمل على التراجع "هممت" وفي قوله بإزعاج المطي إيحاء بالمغامرة التي فضل الشاعر خوضها، وهذا يكشف عن ضعف الإنسان أمام قوة الطبيعة"[4].

وفي نموذجٍ آخر للشاعر غازي القصيبي في قصيدته "مثل صحراوي" يقول[5]:

أنا من بلاد الطين والرملِ

ظمأ الصحاري في شراييني

ورمالها الصفراء تكويني

وحنينها للفجر للطلِ

يبكي...فيبكيني

---

[1] المجموعة الشعرية الكاملة: ٤٥٦

[2] ديوان لم السفر :١٣٥

[3] ديوان ابن بليهد (ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام): 76

[4] أثر الصحراء في الشعر العربي السعودي.

[5] المجموعة الشعرية الكاملة: 464

ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

أنا مثل صحرائي

دنيا بلا ماءٍ

قفرٌ بلا حلمٍ بلا ظلِّ

أنا رحلةٌ في عالم المحل

في هذا النص تمتزج الأنا بالصحراء، حيث جعل الشاعر من هذه الأنا أنموذجًا للإنسان العربي السعودي الذي تمتزج الصحراء بأخلاقياته وطبائعه، ثم يستبين من خلال النص التمازج بين الإنسان والصحراء المرموز بها للوطن فقد تحولت الذات هنا إلى جسد يضم في داخله الصحراء كما يظهر في قوله: "ظمأ الصحاري في شراييني...ورمالها الصفراء تكويني"، ونلحظ أن الشاعر يحاول أن يجسد مأساته من خلال عامل الجدب والظمأ وفقدان الماء، يتجلى ذلك في قوله:" دنيا بلا ماء..قفرٌ بلا حلمٍ بلا ظلِّ..أنا رحلةٌ في عالم المحل" فهو يبحث عن الارتواء والخصوبة دون جدوى حتى كاد أن يقع في شباك اليأس.

وبالعودة إلى حضور الرمل والماء في قصائد محمد الثبيتي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة عناوين:

الأول/ أشكال الرمل وتحولاته

الثاني/ أشكال الماء وتحولاته

الثالث/ جدل العلاقة بين الرمل والماء

أولاً/ أشكال الرمل وتحولاته

اتكأ الثبيتي بصورة خاصة على مفردة (الرمل) التي لم تفارقه منذ أول قصيدة، حتى صارت الركن الأهم في قصائده، فهي مفتاح شعريته. وبقدر ما كان يتعاطاها من الوجهة اللفظية، بوصفها مفردة أصيلة قابلة للاستزراع في آثاره الشعرية، إذ يكثر من الطرق عليها ليؤكد انسجامه مع ظاهرة لغوية، كان يتعامل معها بالمقابل بوصفها (ثيمة)؛ إذ صار يستحضرها وينوّع عليها في صورة رمز، كما يتضح ذلك التوجه عند مقاربتها وفق مقتضيات النقد الثيمي، فقد كان يجمعها أحيانا ويفردها تارة أخرى، الأمر الذي يفسر انبساطها برقة

حسّية على مجمل نصوصه، واختراقها العمودي لمجمل منجزه كعنصر لغوي، وكركيزة موضوعية لا غنى عنها في كل تحولاته القولية[1].

ففي قصيدة (موقف الرِّمال موقف الجناس) يقول[2]:

ضَمَّني،

ثُمَ أوقَفَني في الرِّمالْ..

ودعاني: بميمً وحاءً وميمً ودالْ

حيث إنه "يرى نفسه ولأول مرة من خلال ذات عرفانية خارجية، ولا يرفع صوته بالإنشاد مباشرة، مع محافظته على أداء فروض التبتُّل والتغنّي بالأرض، والإفصاح عن تمسكه ببعض شعائرية أدائه القولي.

وعند الإصغاء، بالمعنى النقدي، لما أنشده من (فواصل من لحن بدوي قديم) يتبين أن بين الاستحقاقين، أي بين أول نص رومانطيقي غنائي وآخر شطحة نصية تأملية لذاته الذائبة في المعنى، يتضح أنه قد آثر الكتابة بالرمل، حيث جعل هذا البدوي الذي (حَبَتْهُ الرمال) من تلك الذرات الغنية بالدلالات لغته، كما اختصر بمنتهى الوضوح والجزم ذلك الانحياز بصورته الشعرية المعبّرة"[3] حين يقول[4]:

أتيت أركض والصحراء تتبعني...وأحرف الرمل تجري بين خطواتي

يا أنت لو تسكبين البدر في كبدي...أو تشعلين دماء البحر في ذاتي

فلن تزيلي بقايا الرمل عن كتفي....ولا عبير الخزامى من عباءاتي

---

[1] ينظر: مقالة احتشاد السيرة الشعرية في قصيدة الشاعر محمد الثبيتي بين استوائين للناقد محمد عباس، موقع الناقد محمد عباس على الشبكة العنكبوتية *m-alabbas.com/ara/4/p2_articleid/266*

[2] ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة: ١١

[3] الثبيتي بين استوائين، (جريدة الرياض، 1431/4/23هـ، العدد 15263)

[4] الديوان: ٢٠٤

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد الخامس عشر- جمادى الأولى 1445هـ- ديسمبر 2023م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

فالرمل هنا يأتي بدلالتين، الأولى رمل متفاعل مع الذات الشاعرة، رمل له معنى لارتباطه بالحرف تارة، ولكونه يجري بين خطواتها تارة أخرى، أما الدلالة الثانية فتحيل للرمل بوصفه جزء من الهوية لا يمكن للذات الشاعرة الانفصال عنه حتى ولو كان لأجل المحبوبة.

ويبدو أن الثبيتي وجد في الرمل معاني واسعة يستطيع أن يتنقل بينها فتارة يتخيله فرساً يمتطيه كما في قصيدته آياتٌ لامرأةٍ تضيء إذ يقول[1]:

حينَ تَنْطَفِئُ امْرأةٌ فِي السَّرابْ

أَمتطِي صهوةَ الرملِ

أشْهرُ أجنحتي للعذابْ

أمُدُّ لها كَفَناً في المدى

وأعَمِّدها بالترابْ

وتارة يجيئه بثوب العراف، يقرأ تضاريسه ويفتش في تفاصيلها عن معناه؛ فالثبيتي بوصفه ابنًا للصحراء عاشقًا لها يرى أنه العارف الأجدر بها، وهو عرافها الأمثل، حيث تتشكل رؤيته لعالمه بداية من الرمل، فيقول[2]:

جئتُ عرافاً لهذا الرملِ

استقصي احتمالات السوادْ

جئت ابتاع اساطيرَ

ووقتاً ورمادْ

بين عينيَّ وبين السبت

طقسٌ ومدينهْ.

---

[1] الديوان: ١١٩

[2] الديوان: ٥٩

إن الرمل بوصفه حاضرًا فاعلًا عند الذات الشاعرة بأشكاله المتعددة هو جزء من هويتها، ومن صراع وجودها، فهي في حالة تفاعل دائم معه، تخلع عليه حالاتها النفسية، ورؤيته الشعرية، تؤكد من خلاله العلاقة الوجودية بينهما، وتستشرف المستقبل من خلاله.

ثانياً/ أشكال الماء وتحولاته

تعددت صور الماء في شعر الثبيتي ما بين القطرة، والمطر، واليم، والنبع وما إلى ذلك من أشكال الماء المختلفة، وكان المطر أكثر صور الماء حضوراً في شعره؛ إذ يشكل مصدر الخلاص والارتواء السماوي، حيث إن المطر الذي يحمله غمامه كان له أثر إيجابي على الجوعى الذين باحوا بآلامهم، وكذلك المتفائلين والمتطلعين إلى الأمام ولا يجدون أمامهم سوى السراب ليكتشفوا أن خلاصهم جاء من السماء كما في قصيدته "أمضي إلى المعنى" إذ يقول[1]:

ونظرتُ في عين السَّما
فخبتْ شَراراتُ الظما
وانشقَّ
عن مطرٍ
غماميْ
للبائتين على الطوى
والناشرين لما انطوى
والناظرين
إلى
الأمامِ
للنخل للكثبان للشيح الشماليّ

[1] الديوان:٢٩

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد الخامس عشر- جمادى الأولى 1445هـ- ديسمبر 2023م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

ونلحظ شكلاً آخر للماء في قصيدته موقف الرمال موقف الجناس يظهر في القرب والبعد تكمن في قبول الأقل القريب مع استحالة الأكثر البعيد، حيث قَبِل القطرة القليلة مع استحالة المطر البعيد[1]:

قال:

أنت بعيد كماء السماء

قلتُ:

إني قريب كقطر الندى

المدى والمدائنُ

قفر وفقرُ

والجنى "والجنائنُ"

صبر وصبر

وعروس السفائن

ليل وبحر

ومداد الخزائن

سطر وشطر

وثمة شكلٌ آخر للماء في القصيدة ذاتها وهو البحر الذي يمثل قلق الماء؛ إذ يقول مخاطباً النخل[2]:

وكتبت نافرة الحروف ببطن مكة

والأهلة حول وجهك مستهلةُ

والقصائد في يديك مصائدُ

والليل بحر للهواجس والنهارُ

قصيدة لا تنتمي إلا لباريها

---

[1] الديوان:١٧

[2] الديوان:١٩

وباري الناي

وقد يذكر الماء حاجةً أساسيةً تروي الظمأ فحسب كما في قصيدة الصعلوك:

قل لي[1] :

متى تثخن الخيل والليل والمعركهْ .

يفيق من الجوع ظهرًا

ويبتاع شيئًا من الخبز والتمر والماء

والماء العذب يشكل جوهر الحقيقة في قصيدة الأسئلة:

إنها تقف الآن بين الزلال وبين الزبد

قل لها : ظاهر الماء ملح وباطنه من زبد

ويُظهر في وضاحه تفضيلاً بين شكلين من أشكال الماء، فعندما يتوفر الشكل الأصفى في نظره يُرفض الشكل الآسن (ماء البرك)، حيث إن صاحب القوة يرفض كل رمز للضعف، بل يدوسه بنعليه فهو لا يستحق إلا أن يتكدر أكثر فأكثر طالما أن رمز القوة في متناوله[2]:

صاحبي..

لا تمل الغناء

فما دمت تنهل صفو الينابيع شق بنعليك ماء البركْ

ثالثاً/ جدل العلاقة بين الرمل والماء

على الرغم مما استقرّ في الذاكرة الجمعية من أن الرمل هو المعادل الموضوعي للعطش والموت في غياب الماء الذي يشكلّ معادلا موضوعيا للحياة عادة، إلا أن الثبيتي قارب هذه العلاقة كما في كثير من الأحيان كقوله[3]:

أيا كاهن الحيّ

---

[1] الديوان: ٧١

[2] الديوان: ٤١

[3] الديوان: ٩٩

ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

هل في كتابك من نبأِ القوم إذ عطلوا

البيد واتبعوا نجمة الصبحِ

مرّوا خفافاً على الرمل

ينتعلون الوجى

أسفروا عن وجوه من الآل

واكتحلوا بالدجى

ويكمل هذا المشهد بالوقوف على مشاعر الضياع والوحدة والحنين والألم حيث يكون المطر مرةً أخرى مصدرًا للخلاص لكنه هذه المرة في أفقٍ غير مسدودٍ تماماً فثمة بريق أملٍ برؤيته للمطر المعادل الموضوعي للحياة[1]:

نظروا نظرةً

فامتطى علسُ التيه ظعنهمُ

والرياح مواتيةٌ للسفرْ

والمدى غربةٌ ومطرْ .

لكنه في كثير من المواضع يفارق هذه العلاقة التقليدية إلى علاقات جدلة أخرى تنكشف على عوالم أعمق، وتكسر أفق التلقي، وتنحاز إلى كل ما هو خارج عن المألوف، وتنقلنا إلى فضاء قائم على المفارقة، ومن ذلك قوله في قصيدته تغريبة القوافل والمطر إذ يقول[2]:

ألا ديمة زرقاء تكتظ بالدما

فتجلو سواد الماء عن ساحل الظما

---

[1] الديوان: ١٠٠

[2] الديوان: ٩٨

نلحظ في هذه الأبيات مفارقة صارخة إذ إن الديمة زرقاء بلون البحر والأصل أن تكون رمادية إن كانت واعدة بالمطر ويصفها بأنها مكتظة بالدماء ولعل الشاعر يشير بذلك إلى ما شاع في الثقافة الغربية أن الدم الأزرق لقبٌ أطلق على نبلاء إسبانيا، وقد أطلقه عليهم الفلاحون العبيد المسخرون لخدمتهم إذ كان سادتهم ببشرة شديدة البياض تظهر فيها الشرايين زرقاء فاعتقد الفلاحون أن دم سادتهم أزرق لا سيما أنهم وهم أصحاب البشرة السوداء لا تكاد عروقهم تظهر فظنوا أن لون هذا الدم خاص بسادتهم، ويعزز هذا الفهم قوله : "فتجلو سواد الماء عن ساحل الظما" ونلحظ أيضاً أن الماء أسود والأصل أن يكون شفافاً، وكذلك الساحل فهو مصدر الارتواء في الأصل لكنه هنا ساحلٌ للظمأ، ثم يكمل قائلًا[1]:

ألا قمرًا يحمرُّ في غرة الدجى

ويهمي على الصحراء غيثًا وأنجما

فنكسوه من أحزاننا البيض حُلةً

من المعروف علمياً أن القمر يكون محمراً عندما يكون منخفضاً قريباً من خط الأفق في فصل الصيف، ولعل الشاعر يريد هنا من القمر أن يدنو ويقترب أكثر فأكثر ليمنح الصحراء غيثاً آخذًا من الماء دوره في إرواء الأرض العطشى، ثم إنه قرر بعد ذلك أن يكسوه حلةً من أحزانه البيض وليس غريباً أن يربط الحزن بالبياض بدلاً من السواد فبعض الشعوب كالأندلسيين والصينين يعبرون عن حزنهم باللون الأبيض ويرتدونه في الحداد.

وقد أشار القيرواني في إحدى قصائده لمذهب أهل الأندلس في ثياب الحداد بقوله[2]:

ألا يا أهلَ أندلسٍ فَطنتُم بِلُطفكم إلى شيءٍ عجيبِ

لبستم فِي مآتِمكُم بياضاً. وَجئتم منه في زِيٍّ غريبِ

صدَقْتُم فالبياضُ لباس حزنٍ ولا حزن أشدَّ من المشيبِ

---

[1] الديوان: ٩٨

[2] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٤/٤٤٠

ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

وربما أيضًا أن اختيار الذات الشاعرة للبياض لكونه ملازمًا للنقاء والصفاء، أو لأن أنفة البدوي تأبى عليه إظهار حزنه وهمه.

وفي القصيدة ذاتها يقول أيضًا[1]:

ألا أيها المخبوء بين خيامنا

أدمت مطال لرمل حتى تورّما

أدمت مطال الرمل فاصنع له يدًا

تعاتب الذات الشاعرة هنا القمر المحمر والمخبوء في الوقت ذاته، كناية عن طول الليل، في حضرة هذا القمر الذي أكثر من المطل.

ونجده يعبر عن رحلة الحياة بما تحمله من الشقاء والمعاناة والألم والقسوة بأنها كتابٌ فيه تجربةٌ يقرؤها الناس ببعد مقدس نرى من خلاله مواطئ الراحلين في الرمال وكذلك مدافن أسرارهم عندما تسابقوا أيهم يرد الماء أولاً، ففي قصيدته تغريبة القوافل والمطر يقول[2]:

سلام عليك فهذا دم الراحلين كتاب

من الوجد نتلوه

تلك مآثرهم في الرمالْ

وتلك مدافن أسرارهم حينما ذللت

فالرمل هنا يمثل الوطن الذي يعيش الإنسان فوقه والقبر الذي يدفن الإنسان تحته، فهو حياتهم وموتهم في آن معًا، وكعادة أهل الصحراء لا بد من ورود الماء[3]:

لهم الأرض فاستبقوا أيهم يرِدُ الماءْ

– ما أبعد الماءَ

ما أبعد الماء

---

[1] الديوان: ١٠٠

[2] الديوان: ١٠٤

[3] الديوان: ١٠٤

لا .. فالذي عتقته رمال الجزيرة

واستودعته بكارتها يَرِدُ الماءَ

يا وارد الماء علَّ المطايا

ثم ينادي من يرد المطايا ويقول له:

وصبّ لنا وطنًا في عيون الصبايا

فما زال في الغيب منتجع للشقاء

وفي الريح من تعب الراحلين بقايا

إذا ما اصطبحنا بشمس معتقةٍ

فالماء هنا لا ليروي ظمأ الشفتين بل ليروي ظمأ الشاعر إلى محبوبة يسكن في عينيها، ويكشف عن شدة تعلق بالحياة وشغف بها فما يزال في العمر متسع للعواطف، وما يزال في الجسد بقيه من طاقة لم تستطع الريح ولا طول السفر أن يفنياها تمامًا.

ونلحظ في قصيدة الأوقات دخول رمزية أن العلاقة بين الرمل والماء أصبحت تحتاج إلى وسيط هو النجمة؛ إذ يقول:

(ولي نجمة حينما لا تغيب لصدر الفضاء الرحيب...فحينا أراها تطوف الشمال...وحينا تشق صباح الجنوب...على البعد تبدو غناء شجيا...لقلبي ، وريحانة من قريب...سماوية في زمان الشقاء...وأرضية في الزمان الخصيب...يجاذبها الرمل حبل الشعاع)

ففي وقت الشقاء والعطش ، لكنه في زمن الخصب والارتواء ينزلها من عليائها لتحقق للرمل حاجة أخرى هي الأنس والقرب والتخلص من الوحدة.

وإذا وقفنا عند قراءته الثانية في قصيدة التضاريس التي يقول فيها[1]:

هذه أولى القراءات وهذا

[1] الديوان: ٦٠

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد الخامس عشر- جمادى الأولى 1445هـ- ديسمبر 2023م
ISSN: 2707- 8655
EISSN:2707-8663

وجه ذي القرنين عاذْ

مشرباً بالملح والقطران عاذْ

خارجاً من بين أصلاب

الشياطينِ

وأحشاء الرمادْ .

حيثُ تمتدُّ جذور الماءِ

تنفضُّ اشتهاءات الترابْ

"نرى هنا أن البداية تقوم في "تكوين " تضاريسه على رؤيتين . رؤيا تأتلق فيها حشاشات التكوين على "نار عجيبة تستوي خلف المدار الحر تنينا جميلا" وتترمد – في رؤياها المقابلة – على "عودة زي القرنين " ، يصعد مشربا بالملح والقطران ، ليأكل بذور تكون الحياة؛ ولا يتوقف النص عل النتيجة النهائية لصراع الحياة / الموت في بداية تشكلها، في "تضاريس" "الثبيتي" ، لكننا نعثر عل ما يشبه أن يكون – بالنسبة لنا –نتيجة . لنقرأ : يا غرابا ينبش النار لم يواري عورة الطين وأعراس الذباب لم حيث تمتد جذور الماء لم تمتد شرايين الطيور الحمر، تسري مهجة الطاعون ، يشتد المخاض . وبذلك فإن النص ينقلنا الى ما بعد جيل الولادة .. الى الجيل التالي له ، حين يقتتل الأخوان "قابيل " و"هابيل" على أي منهما : الذي يفوز بالأنثى" .[1]

ونجد في قصيدة المغني تماهي الماء مع الرمل حيث يعيدنا إلى أصل خلق الإنسان فيقول[2]:

كيف أُغمد أوردتي في السديمْ ..

كيف أُخرج من شبق الطين

موتاً يتيمْ ...

---

[1] شريطٌ من "تضاريس" خارطة "الثبيتي"– الموقع الرسمي للشاعر محمد الثبيتي، https://althbaiti.com/190/

[2]

ونلحظ كذلك أن امتزاج الرمل والماء في "بابليته" يحيلنا إلى أصل الخلق:

مسَّه الضرُّ هذا البعيد القريب

المسجَّى

بأجنحة الطير

شاخت على ساعديه الطحالب

والنمل يأكل أجفانه ..

.. والذبابْ

مات ثم أنابْ .

وعاد إلى منبع الطين معتمراً رأسهُ الأزليّ

خاتمة:

مما سبق يتضح أن قصائد محمد الثبيتي التي ركز فيها على ثيمتي الرمل والماء قد برع في توظيفها لتشكيل رؤيته الخاصة للعلاقة بين الرمل والماء مفارقاً في أغلب الأحوال نمطية العلاقة المألوفة بينهما، وكاسرًا أفق التوقع ليكشف عن ثقافة خاصة وإحساس مختلف بهما، كما أنه ابتكر رموزًا لغوية صافية تحمل قدرًا عاليًا من الجمال حيث تحمل القارئ إلى حلمه ومغامرته بتأسيس لغته الشعرية المتفردة عن غيره.

ولغة الثبيتي برموزها وأساطيرها ومدلولاتها ومغامرتها أيضًا تسهم في اكتشاف أفق جديد واسع للقصيدة السعودية المعاصرة.

إن شاعراً كالثبيتي يستحق المزيد من الدراسات والإضاءات على شعره ولعل أصحاب الهمة من أبناء بلدنا ينهضون – وهم أولى الناس بمبدعيهم– إلى تقديم المزيد من الدراسات التي تضع الأدب السعودي في مكانته اللائقة بين الأدب العربي خاصة والآداب العالمية عامة.

المراجع

ابن بليهد، محمد بن عبد الله. ديوان ابن بليهد(ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام، تحقيق الدكتور محمد بن سعد بن حسين ط1، 1405هـ /1385م)

الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، (دار الانتشار العربي، بيروت–لبنان، النادي الأدبي بحائل، المملكة العربية السعودية– حائل، ط١، ٢٠٠٩م

الثبيتي، محمد، الموقع الرسمي للشاعر على الشبكة العنكبوتية*althbaiti.com*

الدرابسة، محمد، أثر البيئة الطبيعية في الشعر السعودي عند النقاد العرب(مجلة جامعة أم القرى، السنة الثامنة، العدد العاشر، 1415هـ/1395م)

الزهراني، يحيى. أثر الصحراء في الشعر العربي السعودي(رسالة دكتوراه نشرت عام 1425هـ)

سيف، عبد الودود، شريط..من "تضاريس" خارطة "الثبيتي" موقع الثبيتي

الشنطي، محمد صالح. التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية (النادي الأدبي بمنطقة حائل، ط1، 2003)

عباس، محمد، (جريدة الرياض، 1431/4/23هـ، العدد 15263)

عباس، محمد، مقالة احتشاد السيرة الشعرية في قصيدة الشاعر محمد الثبيتي بين استوائين (موقع الناقد محمد عباس على الشبكة العنكبوتية *(m-alabbas.com/ara/4/p2_articleid/266*

العروي، حسين عجيان مسعد. ديوان لم السفر(جدة النادي الأدبي الثقافي، 1412هـ/1992م)

العظمة، نذير. قضايا وإشكالات في الشعر العربي الحديث، الشعر السعودي نموذجاً، (نادي جدة الثقافي الأدبي، 2001م)

العلاف، إبراهيم خليل. المجموعة الشعرية الكاملة (ط1، 1409هـ/1389)

القصيبي، غازي عبد الرحمن. المجموعة الشعرية الكاملة (جدة: تهامة للنشر، ط2، 1408هـ/1387م)